شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٠)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

قال أبو عثمان:

(**من بيان طريقة أهل البدع إلى بيان طريقة أهل السنة**) فلعل السقط الواقع هاهنا، بعد قوله مثلًا وإذ قال دلالته كما توقعنا أنها: (وأما أهل السنة فلا يعملون عقولهم وآرآئهم فيه)، حتى يستقيم الكلام، وعلى أي حال لا نقوله رحمه الله ما لا يقل، ولكن نقول لعل هذا مناسب لهذا البياض الذي في الأصل، فنشرح هذا بعد هذه الفراغات، أو البياضات بما يناسب.

أبو عثمان رحمه الله يبين فرقا منهجيًا أصيلًا بين طريقة أهل البدع وطريقة أهل السنة، وموقف الفريقين من النصوص.

فأهل البدع: يحكمون العقول والآراء، فعمدتهم العقل، فما وافق العقل قبلوه، وما خالف العقل ردوه ونقدوه، وأما ما لم يوافق العقل ولا يخالفه، فالغالب عليهم رده كما قال شيخ الإسلام.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ .حفظه الله .

أما أهل السنة: فإنهم يعظمون النصوص، ويقبلون خبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، فهم أمام النصوص القرآنية يحتاجون إلى أمر واحد فقط، وهو بيان الدلالة والمعنى، أما الثبوت فقد كفوا ولله الحمد، ذلك من قبل ربهم سبحانه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، وأما الخبر النبوي فإنهم يحتاجون فيه إلى أمرين:

الأمر الأول: الثبوت، وصحة نسبة هذا النص إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنكم تعلمون أن الوضاع قد وضعوا على النبي صلى الله عليه وسلم، أحاديث كثر بعضهم من الزنادقة، وبعضهم من الجهال، كما أنه يتطرق الوهم وسوء الحفظ إلى بعض الرواة، فلذلك اشترط الثبوت، في أي خبر ديني، سواءً يتعلق بمسائل الاعتقاد، أو بمسائل العابدات أو الأخلاق أو المعاملات، ولا فرق.

وفي هذا رد على من زعم من المتكلمين أنه لا يستدل بأحاديث الآحاد على في مسائل الاعتقاد، والصحيح أن مسائل الدين من باب واحد، وأنه إذا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لزمنا قبوله وتصديقه، إن كان خبرًا، وامتثاله إن كان أمرًا، واجتنابه إن كان نهيًا، ولم يؤثر عن السلف رحمهم الله أنهم يفرقون بين أبواب الدين، بل يجرون الكلام على نسق واحد.

أما الأمر الثاني أمام النص النبوي: فهو أيضًا فهم دلالته ومعناه.

إذًا فرق ما بين أهل السنة وأهل البدعة في هذه المسألة المنهجية: أن أهل السنة يجعلون النص حاكمًا وإمامًا والعقل تابع له، وأما أهل البدع فيعكسون فيجعلون العقل حاكما وسيدًا، والنص تبع وخادمًا للعقل، فإن وافق العقل قبلوه وإن خالف العقل ردوه.

ثم هم أمام رده، كما أوضح الشيخ لهم طريقان:

فإن كان حديثًا نبويًا: لم يبالوا برده، إما أن يردوه دون نظر إلى كونه مخرجًا في ((الصحيحين)) أو غيرهما، وإم بالقول أن هذا من أحاديث الآحاد، فيردونه من أصله وينفون ثبوته.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ .حفظه الله .

وأهل البدع ليس لهم عناية بالرواية وحفظ الآثار والرحلة في طلبها أبدًا، بل إنهم يسفهون أهل الحديث، ويذمونهم ويتندرون بهم، حتى ألف بعض العلماء كابن قتيبة رحمه الله، وغيرهم كتبًا في الذب عن أهل الحديث من قالة السوء.

وأما إن كان حديثًا متواترًا أو آية قرآنية فإنهم حينئذٍ لا سبيل لهم إلى رده فيعملون فيه التحريف، ويقولون ليس على ظاهره، المراد بكذا كذا وكذا، ولا ريب أن هذا تجن على النصوص.

(قال: **والفرق بين أهل السنة وبين أهل البدع: أنهم إذا سمعوا خبراً في صفات الرب ردوه أصلاً ولم يقبلوه، أو)** كما يمكن أن تكون الكلمة المناسبة: أو صرفوه **(للظاهر)** والمقصود بالظاهر: ما يدل على التمثيل، لقوله بعدها، **(ثم تأولوه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله)** يعني أنهم يحملون هذا النص على الظاهر الذي يدل على تمثيل الله بخلقه، ليتوصلوا بذلك إلى تحريفه عن معناه وتأويله تأويلًا يرفع الخبر عن أصله، وهم كما كررنا مرارًا، أنهم فروا من التمثيل فوقعوا في التعطيل، واعلموا أن كلمة الظاهر، أو ظواهر النصوص، للناس في فهما معنيان: فمن الناس من يظن أن ظواهر النصوص، يقتضي التمثيل، فإذا سمعوا {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} قالوا: إن ظاهرها وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وأما أهل السنة فإنهم لا يقولون أن هذا ظواهر النصوص، بل يقولون: إن ظواهر النصوص ما دلت عليه من المعنى من حيث وضعه في اللغة العربية، بصرف النظر عن الحقيقة والكنه والكيفية، فعلى ذلك إثبات الظواهر ليس فيه محظور بل هو الواجب والمتعين؛ أن نثبت ما دل عليه الظاهر، وإن كان بعض الناس يتبادر إلى ذهنه من الظاهر معنى باطلًا فهذا خطأ في فهمه، إذًا نقول: إن ظواهر نصوص الكتاب والسنة لا تدل على باطل وحاشا، بل ظواهر نصوص الكتاب والسنة تدل على معنى حقيقي لائق بالله عز وجل، كما قال الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله: ((من جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهًا))، أبدًا فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.

فأهل البدع إما أن يردوا هذا الخبر أصلًا، ولا يقبلوه، أو يزعمون أن ظاهره يقتضي التشبيه ثم يتأولونه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله وإبطال دلالته الحقيقية باختراع معنى من عند أنفسهم.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ. حفظه الله.

ثم بعد ذلك بياض كما قال المحقق، قال: كلمة غير واضحة، ثم بياض مقداره سطر؛ لعل هذا البياض: (وأما أهل السنة فلا يعملون عقولهم وآرائهم فيه ويعلمون علما يقينا أن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى ما قاله) لا يعملون عقولهم: يعني في تصور كيفيته، ولا يعملون آرائهم فيه نفيًا أو تحريفًا، كلا بل يحترمون النص، ويعلمون حقًّا يقينًا أن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى ما قاله، كيف لا وأسباب قبول الخبر ترجع إلى أمور:

أولها: العلم. ثانيها: الصدق. ثالثها: البيان. وكل هذه الأمور متحققة في خبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فأما العلم فنبينا صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه كما قال في حجة الوداع قال: ((أيها الناس أما إني اتقاكم لله وأعلمكم به))، فالنبي صلى الله عليه وسلم، أعلم الناس بربه، إذًا لا يمكن أن يبدر منه شيئ صلى الله عليه وسلم وحاشاه، خطأ في حق الله تعالى.

الأمر الثاني: الصدق، ربما كان المرء عالم لكن يكون كاذبًا، وحاشا نبينا صلى الله عليه وسلم أن يخبر إلا بما أمره به ربه، كما قال ربنا عز وجل: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}، إذًا الصدق متحقق بخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

نأتي إلى الأمر الثالث: وهو البيان، ربما كان المرء عالمًا، صادقًا، لكنه فيه عي وفهاهة، لا يستطيع أن يعرب عما يريد ويبين مراده، وهذا موجود في الناس، فإن بعض الناس إذا أراد أن يقول: أبيض، قال: أسود، وإذا أراد أن يصف شيء وصفه بعكسه؛ لأن الناس يتفاوتون في البيان، وضده، كنبينا صلى الله عليه وسلم بشهادة العرب جميعًا وأصحابه خصوصًا أفصح الناس، قالوا: يا رسول الله ما رأينا أفصح منك قبلك ولا بعدك، إذًا زال هذا المحظور، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم ذو كلام بين واضح.

بقي أمر رابع لم نذكره: وهو النصح، ربما كان الإنسان عالمًا، صادقًا، ذو بيان، لكنه غاش، نسأل الله العافية، وهذا منتف ممتنع في حق النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أنصح الأمة للأمة، فمع وجود هذه الأسباب الأربعة ينتفي أن يكون في خبر النبي صلى الله عليه وسلم، ما يوجب التردد في قبوله، أو احتمال الشك في أنه أراد كذا

أو أراد كذا، فهو صلى الله عليه وسلم: أعلم الناس بالله، وهو أصدقهم خبرًا، وهو صلى الله عليه وسلم أبينهم وأفصحهم، وهو أنصحهم للأمة، ثم أصحابه من بعده كذلك، لا يكمن أن يكون الصحابة رضوان الله عليهم جاهلين بأشرف الأمور، الذي هو العلم بالله عز وجل، فإن أعظم ما انطوت عليه القلوب واكتنزته الصدور هو العلم بالله عز وجل لأنه أشرف معلوم، وقد كانوا يحرصون على العلم، ومن كان عنده رغبة في العلم وهمة في العبادة، كان أشد ما يحرص عليه هو العلم بالله عز وجل، قال أبو ذر: لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ترك لنا منه علمًا، ولما قال المجوسي لسلمان الفارسي: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرائة، قال نعم، أمرنا أن لا نستقبل القبلة ببول ولا غائط، ولا نستنج بروث ولا رجيع، أو كما قال، إذًا ما ترك الصحابة شيء إلا وفقهوه وعلموه، وهذا الباب من أهم الأمور التي تعلموها من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إنه يستحيل أن يكون الصحابة رضوان الله عليهم قد كتموا ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا من أنصح الناس للناس.

فكل هذه الأمور تدلنا على أن خبر الله سبحانه وتعالى، وخبر نبيه صلى الله عليه وسلم، محفوظ قد بلغ الأمة بكماله، لهذا قال الشيخ:

(ويعلمون حقاً يقيناً أن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى ما قاله، إذ هو كان أعرف بالرب جل جلاله من غيره، ولم يقل فيه إلا حقاً وصدقاً ووحياً، قال الله عز وجل: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}).

(قال الزهري رحمه الله) وهو الإمام المعروف العلم محمد بن شهاب الزهري، (**إمام الأئمة وغيره من علماء الأمة رضي الله عنهم: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم)** يا لها من جمل من أدركها اطمئن على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم، كل قد علم وظيفته، فالواجب علينا التسليم، تسليم عن بصيرة وعلم وهدى {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ}، فلابد للعبد أن يتبين أمر دينه، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون هذه الأخبار في الصفات بقبول حسن، ولم يكن يسبق إلى أذهانهم شيء من لوثات التشبيه، ففي حديث لقيط بن عامر بن المنتفق الطويل الذي جوده ابن القيم، وأثنى عليه، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم، لما حدث النبي صلى الله عليه وسلم وقال حاكيًا عن ربه: ((ينظر إليكم آزلين قانطين، فيظل

هذه المادة لم تراجع على الشيخ .حفظه الله .

يضحك، يعلم أن فرجكم قريب))، فقام رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أو يضحك ربنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسم، ((نعم))، قال: لم نعدم خير من رب يضحك.

انظروا إلى هذا القبول الحسن، وهذا التلقي والتسليم من الصحابة، لم يقل قائلهم: لا، الضحك من صفات المخلوقين، الضحك يلزم منه وجود الأسنان واللهوات والأضراس وغير ذلك، كل ذلك ولله الحمد قد عوفي منه خير القرون، وعلموا أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، أما الذين تلوثت عقولهم بهذه اللوثات فقد أوردوا هذه الإيرادات بالعقول الفاسدة والمقدمات الباطلة فحملهم ذلك على التعطيل والتحريف.

(قال أبو عثمان: **وروى يونس بن عبد الصمد بن معقل عن أبيه أن الجعد بن درهم قدم على وهب بن منبه يسأله عن صفات الله تعالى)** أما الجعد فهو أول من عرف بالتعطيل، في هذه الأمة، وأما وهب بن منبه رحمه الله فهو من خيار التابعين وهو من مسلمة أهل الكتاب، **(فقال: ويلك يا جعد بعض المسألة! إني لأظنك من الهالكين، يا جعد! لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يد وعيناً ووجهاً لما قلنا ذلك فاتق الله)** يا لها من موعظة، نعم والله لو لم يخبرنا الله بذلك لم نقل له، فمسلك أهل السنة والجماعة، هو مسلك السلامة، ومسلك العلم ومسلك الحكمة، قبلوا عن الله خبره وعلموا أنه حق على حقيقته، ولم يتكلفوا بخلاف أهل البدع الذين شرقوا بهذا الأخبار واستشنعوها وذهبوا يطلبون لها المعاني الباطلة.

(قال أبو عثمان: **ثم لم يلبث جعد أن قتل وصلب، وخطب خالد بن عبد الله القسري رحمه الله)** هذا خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين كان ممدح جواد كريمًا، وكان له حسنتان، أما إحداهما فما تسمعون الآن قال:

(يوم الأضحى بالبصرة، فقال في آخر خطبته: انصرفوا إلى منازلكم وضحوا، بارك الله لكم في ضحاياكم، فإني مضح اليوم بـــ الجعد بن درهم، فإنه يقول: لم يتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً، ونزل عن المنبر فذبحه بيده، وأمر بصلبه) يعني ضحى له يوم عيد الأضحى، وعلى هذا أنشد ابن القيم رحمه الله:

ولأجل ذا ضحى بجعد ... خالد القسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب ... سنة لله درك من أخي قربان

فلقد أنكر الجعد بن درهم صفتين من صفات الله عز و جل، هما: صفة الخلة التي هي أعلى المحبة، وصفة الكلام.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ -حفظه الله .

أما الحسنة الثانية لخالد بن عبد الله القسري: فهي قتله للمغيرة بن سعيد الذي ادعى الألوهية – والعياذ بالله – وكان له أصحاب يعتقدون ألوهيته فقتلهم رحمه الله جميعًا وبعضهم تفرق في البلدان حتى نشأ من بعد أتباعه فرقة الباطنية الشهيرة.

(قال: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله) هذه طريقة أهل السنة: أنهم يثبتون ما أ ثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتهون فيه إليه لا يبحثون عن مقالة غيره، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، وهو إمرار اثبات واقرار، لا إمرار تفويض كما يزعم بعض المنتسبين للسنة، قال: ويكلون علمه إلى الله، علم الكيفية إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك أن الإمرار لا يكون إلا بإثبات اللفظ والمعنى، فإن من أثبت اللفظ دون المعنى، فإنه لم يمر النص، و لم يثبته، فهذا مراد أبي عثمان رحمه الله، لقوله ويكلون علمه إلى الله، كما سيأتينا في كلامه اللاحق.

(قال: وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله عز وجل: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ}، وقوله عز اسمه: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}) وذكر المجيء والإتيان مع النزول مناسب جدًا؛ لأنها من باب واحد، فالنزول والمجيء والإتيان؛ صفات فعلية من صفات ربنا عز وجل، والصفات الفعلية: هي المتعلقة بمشيئته سبحانه، أي أنه يفعلها متى شاء، كما تقتضيه حكمته، والمجيء ثابت في القرآن العظيم وكذلك الإتيان قال الله عز وجل: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ} فأضاف الله الإتيان إلى نفسه، وقال: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} وجاء ربك إذًا الجائي هو ربك، وهذا خبر واضح، كل عربي يفهم منه أن الذي يجيء هو الله عز وجل، وأن الذي يأتي هو الله عز وجل، لكن علينا أن نعلم أن المجيئ والإتيان ينقسم إلى قسمين: أما أن يأتي مطلقًا وأما أن يأتي مقيدًا، فما جاء مطلقًا فهو يدل على الصفة، وما جاء مقيدًا فإنه لا يدل على الصفة، أما مجيئه مطلقًا فهو المثال الذي بين أيدينا {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} لم يقيده بحرف جر، فهو إذًا يدل على إثبات الإتيان والمجيء لكن قول الله عز وجل: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ} لا يدل على إثبات المجيء لله عز وجل؛ لأنه جاء مقيدًا بحرف الباء، فجئناهم بكتاب أي أنزلنا إليهم كتابًا، أو أعطيناهم كتابًا، فلا يدل على أسباب المجيء، كذلك مثال بالنسبة للإتيان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((حتى أتى الله بالرحمة والخير)) يعني المطر، الإتيان هنا

هذه المادة لم تراجع على الشيخ .حفظه الله .

جاء مقيدا بالباء، فلا يدل على الصفة، وهكذا أعمل هذه القاعدة: إذا جاء المجيء والإتيان مطلقًا فهو دال على الصفة، إذا جاء مقيدا فإنه لا يدل على إثبات الصفة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.